

المروفة باسم الهدنة أو المهادنة ، وذلك كما حصل في معاهدة الحديبية ولإنهائها إنهاء دائماً ، وذلك كما حصل مع أهل نجران على أن يكونوا تحت حماية المسلمين في مقابلة ارتضوها

٤ - وهناك نوع آخر من المهادنات يترك فيه للدولة المهادنة استقلالها الداخلي تحت ظل من السيادة كما فعل معاوية رضى الله عنه في عهد الأرومن . فقد ترك لهم حرية في بلادهم وأن يمينوا أمراءهم وقضاتهم ورؤسائهم ، ويحتفظوا بتقاليدهم الدينية والمسكرية

(ج) والإسلام يترك للمسلمين تقدير المصلحة في كل نوع من هذه المهادنات ولا يقيدهم في ذلك بشيء إلا بشرط واحد: هو ألا تمس المهادنة قانونه الأساسي ولا تتعارض مع شريعته العامة والأصل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » ، وشبهه بهذا ما تقوله الدول من أن المهادنات التي لا تتفق مع المستور باطلة

ولا يستخدم الإسلام ذلك الشرط لمصلحة المسلمين فقط . وإنما يطبقه لمصلحة أهل المهد أنفسهم ، ومن هنا يقول الفقهاء: « لو طالب ملك عهد الدمة على أن يترك وما يحكم به أهل مملكته من القتل والظلم والفساد ، فلا يصح في الإسلام أن يجاب إلى ذلك ، لأن التقرير على الظالم مع قدرة النزع منه حرام »

(د) والإسلام يبيح للمسلمين عند الضرورة أن يتزولوا عن بعض حقوقهم ، أو يصالحوا غيرهم على أن يذلوا له مآلاً طلباً لخير يرويه فيما بعد ، واتقاء لشر يخافونه على أنفسهم . ولنا في صلح الحديبية أوضح مثال على سماحة الإسلام وصروته في سبيل الحصول على السلام

(هـ) وبما يتصل بمهادنات الصالح تقرير الإسلام لبدا الجزية وليست الجزية - كما يتصورها بعض الناس - بدلاً عن إسلامهم أو عن دماهم ، وإنما هي علامة على خضوعهم ، وكفهم عن الفتنة واعتراض سبيل الدعوة ، ومعونة تهيئ لهم الاشتراك في مصالح الدعوة ، والارتفاق بما يرتفق به الملحدون . يقابلها من جانب المسلمين فوق ذلك حمايتهم من الاعتداء عليهم في أنفسهم وأهلهم وأموالهم

وقد جاء في كتاب الخراج للإمام أبي يوسف أن أباه عروة بعد ما صالح أهل الشام وجب منهم الجزية والخراج بلغة أن الروم

## الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت

وكيل كلية الشريعة

[تمة]

(ج) - وسائل إنهاء الحرب

إن الإسلام شديد الحرص على تحقيق السلم والطمأنينة للعالم فهو يطلب إلى المسلمين أن يدخلوا في السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان ؛ ويقول لرسوله الكريم: « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »<sup>(١)</sup>

(أ) وهو يصل إلى ذلك من طريق المفاوضات كما هي المأداة الطبيعية فيقبل فيه وساطة الرسل وسفارة السفراء من غير أن يتكاف لذلك رسوماً خاصة تؤدي إلى التقييد أو تثير الإشكال .

(ب) ولا تختص المهادنات في نظر الإسلام بإنهاء حالة الحرب . ولكنه يقرر أنواعاً من المهادنات على حسب ما تقتضيه الظروف التي يترك للمسلمين تقديرها والممل بما توحى به في حالتها السلم والحرب

١ - فهو ينشئ المهادنات لإبقاء على حالة السلم الأصلي وحفظاً له من أن يمحذ

ومن ذلك ما عاهد عليه النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب لأول عهده بالمدينة وقد كانت هذه المهادنة أول حجر في بناء الدولة الإسلامية ، كما كانت أول علاقة سياسية بنفسها الإسلام ويسترف فيها بحرية العقيدة وحرية الرأي ، ويحفظ بها على المسلمين أمنهم وسلامتهم وحرمة حياتهم ومدنيتهم

٢ - وينشئ المهادنات لتتعاف الحرب بينه وبين غير المسلمين ، ويرشد إلى هذا النوع من المهادنات قول النبي صلى الله عليه وسلم: « ستصالحون الروم صلحاً تنزرون أنتم ومعدواً من ورائكم » . وقد وقع للمسلمين كثير من هذا النوع من المهادنات في ذكراهم الماضية ، وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً وقاد بعهد خزاعة الذي حصل يوم الحديبية .

٣ - وينشئ المهادنات لإنهاء الحرب إنهاء مؤقتاً ، وهي

(١) الآية : ٦١ من سورة الأنفال

وقد بلغ من حرص الإسلام على الوفاء بالعهود أنه لم يسمح للمسلمين أن ينجسوا إخوتهم للقيمين في بلاد أعدائهم . الدين لم يهاجروا منها — على المعاهدين وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة الأتفال

والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فطليكم للنصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق (١)

هذه صورة مصغرة لأهم القواعد التي نظم بها الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم من الدول

معاملة الدول الاستعمارية لمصر في عهد محمد علي

كما نظم الإسلام العلاقات الدولية العامة على الأسس التي أوجعنا . وضع أساساً صالحاً لتنظيم معاملة غير المسلمين الذين يقيمون في بلاد الإسلام

يقوم ذلك الأساس على ما يأتي :

- ١ — اشتراكهم مع المسلمين في الحقوق والواجبات العامة
  - ٢ — تركهم وما يدينون من غير تحكيم في عقائدهم ولا في كنائسهم ولا في رسومهم وطقوس عباداتهم مادامت على وجه لا يفتن المسلمين في دينهم
  - ٣ — جواز الرجوع بهم في مسائلهم الخاصة إلى حاكم منهم ، وأن يحكم الحاكم المسلم بينهم بمقتضى ما يدينون به
  - ٤ — الإحسان إليهم في الروابط الاجتماعية العامة على حدود ما بين المسلمين بعضهم مع بعض
- وقد جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم وصايا كثيرة في حسن معاملتهم والتوصية بهم

### موازنة

هذه هي القواعد التي بنظم بها الإسلام العلاقات الدولية عامة كانت أم خاصة

وضع أساسها القرآن وبينها السنة . وشرحها عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده . ثم تناولها التابعون وفقهاء المسلمين فأعملوا فيها الرأي والتفريع شأنهم في الشريعة كلها حتى اتسع نطاقها لتنظيم كل ما يجرد من مظاهر العلاقات على وجه يحقق النفع العام والسلام الشامل

(١) الآية : ٧٢ من الأتفال

قد جمعوا للمسلمين جوعاً لا قبل لهم بها . فكتب إلى أمراء المدن المصالحة : ( أن ردوا على أهل الدمة ما جئتم منهم من جزية وقولوا لهم إننا ردنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع ، وأنكم قد شرطتم علينا أن نمنعكم ؛ إما لا تقدر على ذلك وقد ردنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن على للشرط وما كتب بيننا وبينكم إن نصرنا الله )

ولهذا لم ينس الإسلام فيها واجب الروعة والرحمة . فهو لا يميز أن توضع على امرأة ولا صبي ولا ضعيف حاجز عن الكسب ، ولا على الرهبان الذين لا يخاطبون للناس

( و ) هذا والإسلام يحتم على المسلمين أن تكون سياستهم في اليهود على وجه عام مبنية على التراضي وحب السلام وإقرار الأمن والعدالة . وهو يعقت لليهود التي يكون أساسها القهر والغلبة وتحكيم القوة ويعقت الخداع والخيانة في اليهود . ويصف الناقضين للمهد بأنهم شر الدواب عند الله . ويأمر بالاشتداد على الخائنين الذين لا يربقون إلا ولا ذمة . ويوجب أن يكون نبد للمهد إذا جد ما يقتضيه على سواء بينه وبين الخصوم . بل يوجب تمكين المدعو من إصالح خبر النبد إلى أطراف بلده وأهواء مملكته وفي ذلك يقول السكالي بن الهمام ، وهو بصدد قوله تعالى : ( وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ) (١)

( إنه لا يكفي مجرد إعلانهم بل لا بد من مضي مدة يتمكن فيها ملكهم بمد علمه بالنبد من إنفاذ الخبر إلى أطراف مملكته . ولا يجوز للمسلمين أن ينجسوا على شيء من أطرافهم قبل مضي تلك المدة )

ويجمل بنا في هذا المقام أن نسوق آية من الكتاب الكريم هي بحق دستور الإسلام في الوفاء بالعهود . قال تعالى :

وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كآلتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة (٢)

( ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فترزق قدم بمد ثبوتها وتدوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ) (٣)

(١) الآية : ٥٨ — الأتفال (٢) الآيات : ٩١ ، ٩٢ من النحل

(٣) الآية : ٩٤ من النحل

للتطور الحديث . وقد أوصى المؤتمرون هيئة المؤتمر بأن تهني في أداره المقبلة أشد العناية بمسائل التشريع الإسلامى . وأن تدعو إلى الاشتراك في أعماله ودراساته أكبر عدد ممكن من أقطار المسلمين وإني لأنهنز هذه الفرصة فأقترح على مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعى المصرى المسلم أن يعمل منذ الآن على إعداد العدة لإقامة مؤتمر على تكون مهمته استخراج القواعد الشرعية التى تتخذ أساساً لتقنين شرعى — يظهر به جلال هذه الشريعة وحسن ضمانها لمصالح الناس مهما تقدمت حياتهم وتطورت حضارتهم . هذا هو اقتراحى أتوجه به من هذا المنبر إلى جميع رجال الفكر فى مصر والشرق — أتوجه به إلى ملوك الإسلام وفى مقدمتهم حضرة صاحب الجلالة ملك مصر الأعظم للعبور على دينه الحريص على شريعته .

أتوجه به إلى علماء الشريعة وعلى رأسهم طالمان عظيمان من أفذاذ علماء الإسلام لها تاريخ مشهود فى التخرج للفقهى والتطور للتشريع الإسلامى : الأستاذ الأكبر والمفتى الأكبر أتوجه به إلى رجال الحقوق ومن خرجت من رجال القانون الحريصين على خدمة شريعته وإعلاء شأنها بين القوانين الحديثة أتوجه به إلى هؤلاء جميعاً وأحلمهم إياه أمانة يسألون عنها أمام الأبناء والأحفاد ويسألون عنها أمام الله والرسول ( وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ... (١) ) محمد شنتوت

(١) الآية : ١٠٥ من سورة التوبة

وضع الإسلام هذه القواعد وعرفها علماءه وفقهاؤه فى وقت كانت فيه دول الحضارة النابذة تكثر فى عادات جافة لا تعرف للانسانية حقاً ولا تقيم للمدانة والسلام وزناً . ثم تلتها دول الحضارة الناشئة فأخذت تخطو فى آثار الحضارة النابذة حتى أسس فقيه هولندى فى القرن السابع عشر ما سماه القانون الدولى الحديث ووضعه على مبادئ القانون الطبيعى الذى يرفض للقانونيون الآن الاعتماد عليه كقانون له احترام للقوانين . ولقد حاول العالم أن يضمّن السلام فى عصرنا الحاضر بالرجوع إلى هيئات دولية محكمة ولكن المجازر البشرية الدائرة الآن فى أقاليم الأرض تنطق بالفشل التبريع الذى أسباب العالم فى الوصول إلى غاية فإين هذا من قواعد الإسلام للصريحة للمادة . وأين لم ضمان كضمان الإسلام إذ يجعل هذه القوانين أحكاماً تكليفية دينية لا يسمع للمسلمين بمقتضى دينهم إلا أن يعوها حق رعايتها ويمسوا على تنفيذها وتحقيقها سواء فيما يختص بهم أم بغيرهم . فهذا وذلك شرع الله الذى لا مناص من النزول عليه والعمل بمقتضاه من غير تفرقة بين مسلم وغير مسلم . ويقول فيه ( ذلكم حكم الله بحكم بينكم والله اعلم حكيم ) (١) ( أن لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ) (٢) ( وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يسببهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً من الناس لفاسقون أغفك الجاهلية يفتنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ) (٣)

اقتراح

يذكرنى مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعى فى عرضه هذه الموضوعات على بساط البحث — بمؤتمر للقانون الدولى المقارن الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ بمدينة لاهى وقد مثلت فيه للشريعة الإسلامية بموضوعين عظيمين : علاقة للشريعة الإسلامية بالقانون الرومانى . والمسئولية المدنية والجنايية فى الشريعة الإسلامية وقد ظفرت للشريعة فى هذا المؤتمر الأوروبى بقرارات أهمها : إن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة وأنها صالحة لمجاراة

(١) الآية : ١٠ من المتنحة (٢) الآية : ٧٣ من الأنفال

(٣) الأجان ٤٩ ، ٥٠ من لئانة

## وحى الأحاديث المحمدية سيرة الرسول من أحاديثه

بقلم محمد على قراغز الحامى

٥٦٠ صفحة الثمن ١٥ قرشاً وللبريد ٤ قروش

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد على بمصر